

القصص

بقلم الدكتور احمد كمال زكي

\*\*\*

قدمت « الاداب » في العدد الماضي ثلاث قصص ، وهو عدد صغير اذا قيس بما اعتادت ان تقدمه كل شهر . ولكنها شاءت ان تنشر احدى صفحات ترائنا في عمل قصصي ، اقدم عليه الاستاذ رائف خوري . وليس غريبا على هذا الكاتب ان يعنى بماضي العرب على ذلك النحو الكريم ، نكلما زادنا اتصالا بهذا الماضي ازداد فهمنا لواقعنا الوجداني كله . ومن ناحية اخرى فان المشاركة في بعث الماضي عن طريق مجلة توابك احداث العصر ، لاجدى على فكرايتنا من تلك الكتب التي ندعو الدعوة نفسها ثم تنام فوق احد الرفوف . ومع ذلك فلن اناقش رائف خوري في قصته ، لان المجلة اخرجتها من باب القصة فعلا ، ولانها فيما يبدو لم تمن كثيرا الا بما روته كتب الاخبار . فاستغنت عن تشريعات النقاد المختلفة ، واستعاضت عنها بربطنا الى قوميتنا من غير سحب ولا ضجيج .

وتبقى القصص الثلاث ، لثلاثة احدهم - على الاقل - دخيل على هذا الفن الشاق . وحين اقول الشاق ارجو ان افق في سبيل كل من يظن ان كتابة القصة اسهل من قراءتها ، او انها اقصر طريق امام صاحبها كي يكون اديبا .

ان القصة تستمد مادتها من تجارب الانسانية ، ولا يحمل مسؤولية هذه التجارب الا الفنان الفاهم . وهو يتمثلها ليعيدها - حين يحس انها يجب ان تعود - في صورة تبدو كما لو كانت جديدة ، فتصبح من بعد محصلة فكر او مثار عاطفة ولا اقول مناط امل . لان كل القاصين لا يبلغون مبلغ المبشرين ، او هم لا يحسنون حمل رسالة الاحتجاج بحيث يقدررون على تقويض الحواجز وازالة العوائق .

اقول هذا وفي يقيني ان واحدا على الاقل من ع. مطيع وانور قصباني وفتح زكي يجب ان يتخلى عما نسميه في مصر « الحدوتة » لان هذه لم يعد لها كيان في القصة المعاصرة . بل هي ترجع الى تقاليد القرون الفائرة ، وتحول سير الفن الى طريق تنكبه وهو يصدر عن احساس رصين بروح التطور .

التحدي :

القصة الرسالة ظاهرة فنية اولع بها كثير من الابداء منذ لفت الى جدواها صمويل ريتشاردسون في القرن الثامن عشر ، وقد استغلت من بعده استفلالا رائعا في تحليل المشاعر بصورة تبدو فيها كأنها مجرد كشف لا زيف فيه ولا تمويه . وهي من هنا تنتمي الى ادب الاعترافات ، فتشبه الى حد ما روايسة بول بورجيه « التلميذ » وغترب من صنيع توفيق الحكيم في « زهرة العمر » .

واذا كان جيل الشباب لا يزال يفرى بها ، فلانها في كثير من الاحيان تبيح للفاص من المخطورات الفنية ما لا يرخص به في الاعمال الاخرى . وقد يصل الامر بها احيانا الى ان تخرج العمل الادبي كله

من دائرة القصة ، فتكون من ثم مظهر تهرب اكثر منها مظهر مواجهة ، وتكون ايضا نقطة يؤخذ منها الاديبي بما لا يجب .

ولست استطيع ان احدد تماما متى تصبح القصة الرسالة مجرد رسالة ، كذلك لا استطيع ان ابين الى أي حد تخضع مواقف الرسالة وايماءاتها لشروط القصة ، فالامر على هذا النحو معقد ، وفي امكان الكاتب الذي يواجه نافذه بعمله هذا المعقد ان ينكر كثيرا من الاحكام التي نصيح ضرورة جدا في الاعمال القصصية الخالصة .

اصدر عن هذا في سرعة وامامي قصة من المغرب بعنوان « التحدي » كاتبها اثر ان يخفي اسمه الاول - ولست ادري لماذا - واصطنع فيها اسلوب الرسالة ، فلم نحس الا ونحس امام مشكلة الناقد ازاء القصة الرسالة .

انرى « التحدي » قصة حقيقية أم هي رسالة ؟

ان شيئا فيها يؤكد انها قصة ، ولكن فيها ايضا اشياء تريد ان تسليها صورة القصة . وأنا بين احتمالات القبول والرفض معجب بانطلاق الكاتب على رغم احساسه بأنه سجين شخصيته . ويدفني هذا الاعجاب فجأة الى طرح القضية ، جانبا ، كي التفت الى ابعاد هذه الشخصية وهي تعيش فلسفة من ضاعت منه مقدساته . . الحقيقي منها والزائف على حد سواء !

المؤلف ع. مطيع - وهذا ما اقترح من اسمه - يشغله السأم وانفراغ والعبث الذي يمارسه بكل موضوعية ، فيقدم في قصته او في رسالته رجلا يعيش ازمته . . بادنا به وهو يرد على كتاب وصله من صاحبه تبدي فيه استعدادها للحاق به مع انها زوج وأم ولد ، ولا نلبت ان نتيين بعد قليل من القراءة ان الرجل سجين منفي بجنوبي المغرب وان التهمة التي اخذ بها دينية ، وان تكن في الحق سياسية . فهو يكره الدخيل ، وهو بناوىء كل المتعاونين معه ، ولكن هؤلاء المتعاونين - وفيهم زوج صاحبه - لفقوا له الاتهام بعد ان وضعوه في صورة المواجهة بالالحداد .

فهل كان ملحدا ؟

انه يعترف لصاحبه بأنه لا يعرف التستر ولا المواربة ، وانه فعلا يتعجب لمتافيزيقيات البلهاء الذين يسلمون بالانهازية المطلقة . ثم لا يمنعه علمه بان صاحبه من الصنف المؤمن فيقول « لا تندھشي لمصير ايماني فانا لا زلت لم اجد وجود الله ، الا انني اتسائل فقط عن فائدة وجوده » ويضيف انه ليس وحده في هذا الموقف ، وانما الكل ساخط لاجن .

وهنا نحس انه يصل الى جماع فلسفته . . السخط ، بكل ما فيه من انكار وعبث ، وقد تكون اللامبالاة حلا يلتسمه احيانا ، غير ان هذا الحل وفتني سرعان ما يذوب ليحس هو كان حياته فقدت كل معنى - وهي تفقد الكرامة والاباء والاحساس بالحرية - فيؤذن له بالتفكير في الانتحار !

وتفكيره في الانتحار يتعارض مع تفكير صاحبه المؤمنة ، لانها ترى سبيلا الى الخلاص يسميه هو في رسالته بالمنفذ الشريف . ويرى ان مثل هذا المنفذ انتظار لا طائر وراءه ما دام احد لا يامل ان يتحرر التحرر الكامل ، بل ما دام احد يعيش في سجن الرغبة في التحرر من كل سجن ، وما دامت النكسة تأخذ بتلابيب كل أهبة ويذوب فيها الايمان بحيث لا يبقى شيء يفود الى الحقيقة .

في وظيفة بمتحفها ، فأسرع الصديق اليه وتم اللقاء . ثم قاما برحلة الى كرمان حيث كان آية علي قد حلم بوجود مدينة أثرية فيها ، وقد تحقق حلمه !

وطرفا المدينة معا ، وفيها احس الصديق السوري بانفعال آية علي بمرأى المدينة ، ورأى كان هناك سرا يجذبه الى ماضيها السحيق . وتأكد من وجود هذا السر عندما راح احد الحاضرين يسرد قصة المدينة مرتبطة بالأمير « زارا ط ابن حاكم جنوبي فارس المتكشف وزيارة » بشار ط أمير قندهار شي وقد يمثل الشراء والجمال والأبهة . وقد بهت زارا وجذب الى الأمير بشار ولكن انجذابه كان في صورة مدينة فخمة اُشار عليه معلمه الاغريقي ببناؤها فوراً ، حتى تليق بالأمير بشار متى زاره مرة أخرى .

وبنيت المدينة بعد سنوات في مرج خارج كرمان ، وأقيمت التماثيل الرائعة فيها ، وبطلت بالمرمر ارضها ، والحق بها مسرح وملعب رياضة وحوض سباحة . وهنا يبدأ زارا في السؤال عن بشار ، وكان قد انسى أمره سنوات . وعندما يعلم انه مات ينخلع قلبه ، ولكن مر بين الاغريقي يشير الى المدينة العظيمة ويقول مواسيا :

– هذا هو الأمير بشار !

للك كانت قصة المدينة الاثرية كما رواها الحاضر ، واما آية علي فلا يلبث بعد سماعها الا ريثما يستند الى احد الاعمدة ، ثم يسقط فجأة جثة هامدة . ويعود الصديق السوري حزينا الى دمشق ليلسح عليه خاطر غريب ، فيسأل : ترى من كان آية علي ، هل كان الأمير بشار أم كان الأمير زارا ؟

واسأله أنا بدوري تفريفي فكرة التناسخ : وانا كان آية علي احدهما ، فهل يكون هو – الصديق السوري – الآخر ؟

ذلك النوع من القصص الذي يذكرني بالان كواترمن وهي أو عائشة والرجل النذب وفرانكشتين لا يمكن ان يكون ممثلا لروح العصر، لأن الانسانية اليوم صارت الى الايمان بالتجربة ونتائجها . وقد اصبح للأدب مهمة لا يمكن أداؤها بالهروب الى الغيبيات ما كانت لتقدم شيئا، بل ثمة من يرى انه معاناة آية تجربة بمنطق يرفضه الواقع هو تدبير دونه عقم التجربة ان كانت عقيمة . واذا وضعنا في اعتبارنا ان على التجربة ان تزودنا بشيء ما ، فقد وجب اذن ان تعيش هذه التجربة نكاملنا الاجتماعي بكل اطرافه .

ولقد يمكن ان يقال ان ادب اليوم يلتبس حلول الازمة في اساطير الاولين ، والتناسخ على صعيد الأنتروبولوجيات شيء يمت بسبب الى هذه الاساطير . فأقول ان الاسطورة التي تعلق بها « حالة » الأديب هي دائما رفض او تحد أو رصد لضياح الانسان على مختلف العصور ، وليست كالتناسخ مجرد تقمص من أجل لا غاية .

في ضوء هذا نعود الى قصصاتي بسؤالينا : مانا يريد ؟ وهل ما يريد يثري تجربة الانسان ؟ فنجيب انه لا يريد شيئا واضحا فيما يظهر ، وان كان يزعم انه يريد قضية التناسخ في حد ذاتها فيكفي لأخذه بها انه لم يعرض لها الا في ابعادها القديمة .

## عوض :

بهذا العنوان كتب فتحي زكي قصة . ويدهشني فتحي بشخصيته أكثر مما يدهشني بقصته ، لأنه فيما يبدو من حوارهِ وروحه مصري ، وأنا لم أقرأ في مصر لفتحي أية قصة من قبل !

أنا المقصر لا هو ، فليس على الأديب ان يدور على النقاد ليقول : هانذا ، ولكن على الناقد ان يبحث عنه ولو في بلاد الواق الواق . ومع ذلك فلا اظن اني خسرت كثيرا لأنني لم أقرأ لفتحي حتى الآن الا هذه القصة ، واذ يظهر أنه لا يزال في أول الطريق او على الأقل لا يزال يظن ان القصة مجموعة مفارقات تشد شفتي القارئ حيناً وتغدغ احساسه حيناً آخر .

ولقد يكون من الطريف ان تكسب القصة واحدا كفتحي – وله

أهذه وجودية ؟

ان ع. مطيع يبسط مضمونا متازما ، ولكنه لا يلبث ان يتعلق بلون عجيب من الرضى السليبي ، جنوده في قلبه الذي يعشق صاحبه . ومن أجل هذا الحب سيظل متمسكا بالحياة ، يسير ويسير ويسقط وينهض ويقفح الى ان يقضي . وليكن الفراغ كل ما يرى ، وتكسب اللامبالاة كل ما يستطيع عليه حتى وهو في سجنه الشاذ شذوذه والتلازم مع « فراغية » نفسه . ولا بأس من ان يتأرجح بين اليأس والامل ، وليكن هذا التأرجح تعبيرا عن أزمته التي تحس التناقض وترى الميت او اللامعقول في كل شيء .

هذه اذن نزعة تجابه دائما بنشاط الحياة ، وان تكن تقبل عليه . . هذه نزعة الوجوديين ، ولا أعلم ان كان ع. مطيع واحدا منهم أم لا ! بقي شيء اخير هو :

أترى تختمل القصة اسلوب المؤلف الذي قدم لنا فيه ازمته ؟ أشهد اني وجدت عسرا في فهم بعض ما يقصد ، وصرفتني اهتماماته اللغوية عن ان أعيش في يسر تجربته ، فضعت في عشرات من الفاظ اللامبالاة واللامعروف واللاوعي والسيبية والفراغية والاكثافية والحريانية والديمومة والحينونة والسعاسة الزمانية واللامحدودية الكائنية وهكذا . . .

وتبلغ المانة أقصاها حين يكتب فيقول : « نقضي بها عسلى الاعتلات ولاكتفائية . . . ويفتهب بها كهوف الحياة ممارق الحقيقة . . . اطالما حبا هذا اليئس عله يقطع الطريق او زحف ساحبا مؤخره في قبض الصحراء ورمضاء الهجيرة مستتبلا آوارا ومستروقا لسانا » . هذا لا يمكن ان يكون . . لان عهد المقامات انتهى منذ بعيد ، وان يكن ثمة من لا يزال يصطنع اسلوبها .

لا يمكن ان تكسبون مقامات الحريري وليالي سطيح وحديث عيسى بن هشام نموذج التعبير السهل الذي يريده عصرنا وهو يريد الايصال المباشر . واذا كانت فلول هذه المدرسة المتمثلة في محمود تيمور وعبد الحليم عبد الله – ناهلة من المنفلوطي ايضا – لا تزال تحظى باهتمامات البلاغيين ، فلا حاجة لمطيع ان يكون واحدا منهم .

## بشارا :

بقدر ما ينقص « التحدي » من احداث تزدهم « بشارا » التي كتبها انور قصيباتي بما يجعلنا نسال : أبكل هذه التفصيلات تكتب القصة القصيرة ؟

ذلك الرصد الدقيق للمواقف ، والذكريات المشعبة المتفافزة ، والزمن الذي لم تختزله وحدة الشعور ، والملاحقات التي اصبحت اليوم نافلة في أكثر اعمال الحداثيين . . أترى تختملها قصة بشارا والمفروض انها ليست تلخيصا لرواية ما ؟

أنا شخصيا لا أميل الى هذا النوع من الكتابة ، ولكني اميل في الوقت نفسه الى ألا ارض على القاصين الشكل الذي أحبه . وأدبنا ولله الحمد مليء بما لم يجزه أغلب النقاد ، وعدم رضاء واحد مثلي عنه لا يعني محوه من صفحات وجودنا الادبي .

واذن، فانا اناقش انور قصيباتي على هذا الاساس . . على اساس وجود محصلة باقية برغم تعارضها مع نظر النقاد ، وعلى اني لا ازره بتعوري الخاص للقصة . وقيمة عمله في هذه الحال رهينة بما قدمه هو داخل الاطار الذي اختاره ، في حدود شيئين : ماذا يريد ؟ وهل ما يريد يثري تجربة الانسان ؟

وتتلخص القصة – بعد حذف كثير من المواقف المفصلة – في التفاء شابين على هوى واحد سنة دراسية كاملة . الاول سوري يستغل فرص العطلات للانساح في المناطق الاثرية ، والاخر ايراني اسمسه « آية علي » أكثر منه شغفا بارتباد تلك المناطق .

وعقب السنة الدراسية تنقطع اخبار آية علي عن صديقه مدة ، ثم تصل اليه بطاقة دعوة منه تستزيه طهران ، وكان آية علي قد عين

## القصة الأدبية

بقلم محيي الدين صبحي

\*\*\*

أغنية عربية

الشاعر حسن النجمي يفضل ان يقدم شعره بتراويل وثنية ذات رموز قريبة شفافة موحية . فهو بناجي اله الريح بعد ان قدم له قرابين الدم والنار ، ويشكره على ان قبل تضحياته وأعادها اليه مطرا وخضبا وثمارا .. غير ان اليوم لا يكف عن الانذار بالشر ، في حين ان الشاعر لا يكف عن ترديد ابتهالاته ، حتى يحصل على بشرى بالمعاد الى الارض .. ويختم الشاعر قصيدته بوصفه للخصب وللامن السذي حال دون اليوم وتعكير صفو الارض التي يعمل فيها صاحب الصوت .

ان القصيدة حسنة الصنع والمظهر ، فبالرغم من بنائها البسيط ، استطاعت ان تحدث في حيزها الصغير التأثير الفني الذي تبنيه من خلق جو حولها خاص بها . وقد استطاعت قدرة الشاعر على التعبير بالصور ، ان ترسخ التأثير الذي يتطلبه هذا الجو البدائي من الصراع بين الخير والشر .. غير ان هذه الميزات كلها ليست اكثر من بواذر .. انها ملامح شخصية اصيلة لم تكتمل قسماتها بعد ، اذ ما يكاد التأثير يبدأ حتى تنتهي القصيدة ، وتترك القارئ يبحث عن المزيد .. انها جزء من قصيدة طويلة فسي نفس الشاعر ، نرجو ان ترى الضياء في يوم ...

أغنية اخاء

منذ حوالي اربعة اعوام ، اذكر انني كلفت بتقد الشعر فسي مجله « الاداب » ، وكان فيها قصيدة للسيدة ملك عبد العزيز ، وجاءت خلاصة تحليلي للقصيدة سلبية ، فاذا بالنقاد الكبير الدكتور محمد مندور يسخر قلمه للدفاع عن تلك القصيدة ، بل للاشادة بها . وقد طبع نشرة عن الشعر الحديث ، لعل اسمها « فن الشعر » اذا أسفغني الذاكرة ، فاعتبر تلك القصيدة نموذجا للشعر الحديث . وكتب دراسة عنها في إحدى مقالاته أيضا . وقد اعترفت يومئذ ان اهيبء دراسة للرد عليه وتوضيح تجنيه على الشعر الحديث ، وأجرؤ على القول انه لم يكهم تمام الفهم اصطلاحاته الفنية والروح التي يجب ان تمثلها القصيدة الحديثة عند الناقد حين يريد ان يطبقها على الشعر الحديث .

لكن دوامة الحياة في دمشق ، والحرص على عدم تفسير اختلاف الرأي نفسيرا غير ادبي ، دفعاني الى الصمت آنذاك ثم اهمال الموضوع وانني اذكره الان لتسجيل تلك البادرة على الدكتور مندور لمن يريد الرجوع اليها .

طاقة واعدة على السرد - ولكن الاطراف ان نسعى لأن نستجلي شخصيته من خلال عمل يبدو كما لو كان باكورة انتاجه الحقيقي . ولما كنا غير مسعدين لمناقشة الطريف والاطراف - لقصر الباع من ناحية وعدم تأكدنا من مسألة الباكورة ذاتها من ناحية اخرى - فقد يجعل بنا ان نكف موضوعيا على قصته التي زحمتها بالاحداث كما زحم قصيبياتي قصته بهما .

قال فتحي زكي انه لا يكره شيئا كما يكره العرس والجنائز ، ولكن الظروف دفعته الى ان يشيع « عوض » الساعي في شركة « الافلام العربية » الى مشواه الاخير . وبين عملية الدفن وأول لقاء بينه وبين عوض تمتهن آدميته في حوادث تجري على طريقة التذاعيات ، فتنسب فيها كل التناقض الذي تتبناه الحياة . ففوض قبيح جدا ولكنه حلو الابتسامه دائما ، وهو خاوي الجيب ولكنه مليء بالحب والايثار ، وهو يسب ويرضى ، ويسجن من أجل زوج اخته ويرفض زوج الاخت ابواه بعد خروجه من السجن فيعيش في حجرة عارية تماما ، ويفتأبه زميله الحاج محمد ويقبل هو عليه وعلى اولاده .

وفجأة وبعد ان تكس الارض كنسا بعوض تنفر ابتسامته ، ثم يخفي شهرا من مكتب الانلام العربية ليشيع بعد ذلك خبر موته ! ولا تنتهي القصة عند هذا فان الكاتب يؤثر ان يذهب بنا الى حجرته ، والى مكتب الصحة لاستخراج شهادة وفاة له ، والى مقابر الصدقة لدفنه . حتى اذا تم كل شيء - بعد قيل وقال وخذ وهات - وقدم ورقة الصحة للحفارتين ان الورقة ليست له ، فكانت مفارقة غريبة تشبه المفارقة الكبرى التي تميز « عوض » عن غيره ، وهي انه كان دائما شخصا اخر او نمره ٢ .. نعم فقد كان عوض « عوضا » حتى في دفنه !

ولا شيء اكثر من ذلك ...

بل ربما كان « هذا » أكثر تركيزا و « قصصية » من القصة نفسها ، وفي رأيي ان عملا كهذا - وهو اشبه بان يكون ريبورتاج صحيفي او سيناريو فيلم - لا يمكن اخذه باية مقاييس جدية لأنه سيفقده ما يمتاز به من « تليفقة » براقه . واكبر الظن ان فتحي زكي يوافقني على ذلك ، وعلى انه لم يقصد الى القصة بكل معاني القصة من حيث انها صورة لقطاع حياة معبر .

وفي شرط « التعبير » كل ما ندعو اليه من ايجابية تستهدف التبرير المنشود !

نهل تراه فصل ؟

ان معظمنا في الوقت الحاضر لا يحظى بمفاهيم حاسمة للاعمال القصصية ، ولكننا من غير شك نحس بشبه اجماع على ان تكون القصة احتجاجا من أجل قطاع حياتي يمكن تصويره برهافة الاديب الفنان . واحسب ان فتحي زكي لم يحاول ان يكون هذا الفنان ، وانما اكنفى بخفة الظل وبشاشة النكتة وكان الله يحب المحسنين . وبعد .. فقد يمكن ان اقترح على فتحي زكي ان يدع ميدان القصة الى المخلصين لها ويتفرغ للسيناريو مثلا ، لولا قدرته على السرد ، وهي شيء لا يبعد ان تكون منه القصص الموعود .

احمد كمال زكي

القاهرة

صدر حديثا :

## الرأسمالية المعاصرة

ترجمة عمر الديراوي

تأليف جون ستراتشي

دار الطليعة - ص. ب ١٨١٣ بيروت

## فلسطين والادب

ابحاث ودراسات وقصص  
وقصائد - تجتمع كلها في  
العدد الممتاز القادم .

تبدأ القصيدة بصورة الفجر الرمادي وانسانين متعبين من النقاش  
والضجر والتشرد . غير ان الانسانين متمزقان ، والفجر مثل الدمس  
المزروع دودا . وبذلك تتشوه صورة العالم من اللحظة الاولى ، ويأتي  
بعد ذلك الدهول والقلق الاخرس :  
نرسم الصمت على اعيننا  
ونشد الزرد المفتول في اضلعنا ..

في المقطع الثاني يتحدث الشاعر عن هرم الحياة والزحام وخيبة  
الامل ، سوى ان البراءة تظل في بحث فطري عن الجمال مهما كانت  
شروط حياتها سيئة ، والحدس البريء صادق :  
فعلى منحدر الصمت الكبير  
استراحت سندريلا  
في سرير من هزال ، وفميص من ألم  
فالحياة ..  
لم يكن فيها مكان لندم .

بعد ان جرب الشاعر الفكر والامل ، انطلق الى الشهوة لعله يجد  
فيها راحة من يأسه وقلقه . خرج من غرفته وأبخره الجنس تفشسي  
عينيته . فيرى المصاييح كائداء النساء . أو كنساء عربت أفضاهن ..  
وبما انه سئم فقد أضاف صفتي « المنتنة » و « العفنة » الى الصورتين  
فحافظ على وحدة الجو في القصيدة ومهدد للنهاية المؤتسة . تحت  
شجرة الدرادر - وهي رمز للشهوة في الادب الحديث - تلقاه يد  
ناحلة وعيون جمدت فيها الحياة :

فترنحنا .. تهالكنا .. تشبشنا طويلا  
واستحلنا غثيانا .. وامتقانا .. وذهولا

في المقطع الرابع يجرب الشاعر العزلة في غرفة « عارية الحيطان  
تقنات السام » فيبصر وجهه ويلمح اثر الايام عليه .. وتتوالى في ذهنه  
صوره وهو يكر في الذكرى الى ايام صباه ويرى آثار الشفاء تنطبع  
على قسماته في مختلف مراحل حياته وحين يذكر نفسه طفلا ، يسجل  
آثار الشر الذي هدم حياته ، فقد :

أهوت على الطفل الوديع  
حداة راعفة المنقار شوهاء الجناح

نقرت عينيه .. عضت وجنتيه ..

فتشوه وجهه وتشوهت نفسه ولم يعد يعرف للحياة طيبا ولا  
أمنية : اذ ماذا يستفيد الانسان اذا ربح العالم وخسر نفسه ..  
لكن الشاعر يثور .. يهيجه الالم .. فيحطم المرأة ، وتتهادى  
صور حياته فوق الشظايا : كومة من زجاج .. ويخرج من غرفته الى  
المدينة غير الواعية ، التي توحى بالضجر ، وتثير الشهوة ، وتلقسي  
بالانسان في زحمة الحياة ...

- التمتة على الصفحة ٦٥ -

تتصف قصيدة « اغنية اخاء » بأنها مباشرة وفاقدة للتركيز  
وواعية اكثر مما يجب . وهذا كله يقربها من النثر ، ويضيع بعض  
الصور المبررة بين اكوام التعبيرات النثرية المباشرة .  
تتحدث الشاعرة في قصيدة من خمسة مقاطع عن الاخاء الانساني،  
وكيف انه لا يقوم على اللون بل على المحبة . وتتحدث الشاعرة ان هذا  
الاخاء يزيد في ثقته بالناس ويجعل العالم رحبا امامها وبه يسود  
السلام والامن الحياة البشرية لبناء مستقبل احسن . وقد سلكت  
الشاعرة في طريقها الى صوغ هذه الافكار شعرا ، مسلك التعبير  
المباشر عن الفكرة مع ترجمتها الى صور تلونها وتضفي على جوهها  
الصبغة الادبية لكي تخرج بها من حيز المقالة السياسية الى حيز  
الشعر . ولكي نبين طريقته في الاداء ، سوف نقتبس من القصيدة  
المقطع الثاني ، وفيه نتحدث عن ان الاخاء يزيد ثقته بالناس ويجعل  
العالم جميلا وادعا :

يا اخي

عندما ألقاك في بحر الحشود الزاخره  
وأرى الايمان في وجهك كالفجر المظلل  
نقتي بالناس ترسد الى قلبي فتعطيه الفرح  
وأرى المسالم حلوا ، ونديسا ، وجديدا ،  
كالنبات الطفل في نضوته  
كالربيع الطفل في زهوته  
كالصباح الطفل فوق الموج يلهو بالصيا .

فقد مهدت للفكرة الاساسية ببينتين من الشعر تتحدث فيهما عن  
اللقاء الاخوي ، ثم عرضت فكرتها في البيت الثالث عرضا مباشرا بجملة  
مفرقة بالنثرية ، ثم عمدت الى تصوير الفرح في الابيات الاربعة التي  
تلت . وبذلك صار في هذا المقطع فكرتان : اللقاء والفرح ، والثانية  
نتيجة للاولى . وبذلك وقع العقل في حيز التسلسل المنطقي الذي  
يزيد من وعي القارئ ويبعده عن الدهول الذي يحدثه الشعر ، ويفقده  
الاحساس بالامتلاء او بالعرشة التي يبعثها الشعر في النفس حين  
ينتزع الروح الانسانية من واقعا الى عالمه المكثف الزاخم . وفقدان  
القصيدة للتوتر ، هو الذي عيناها بقولنا انفا انها ( مباشرة ، وفاقدة  
لتركيز ، وواعية اكثر مما يجب ) . ان منطق الشعر هو الانسجام  
الداخلي في الرؤية الخاصة للعالم ، وليس المنطق الفكري . كما ان  
التوتر الفني هو الذي يحدد نوعية الصور المتداعية واشتراكها في  
التأثير . اما المنطق العقلاني الذي يسود هذه القصيدة فانه يفقدها  
توترها العاطفي ويجعل القارئ قريبا من العالم اليومي العادي بدلا  
من ان يضعه - فسرا عنه - في غمار يوتوبيا يسودها الاخاء الانساني .  
ان هذه القصيدة بحاجة الى اعادة صهر في النفس التي انتجتها،  
لكي تعود الى الظهور وقد زال عنها الوهن العصبي والتقسيمات  
المنطقية السطحية ، فتقدم مبررة عن عالم شعري حقيقي ، لا عن انشاء  
شعري يتمرن فيه الشاعر على نظم افكاره دون ان يجعل عاطفته تصورها  
وتعيد تركيبها برؤيا جديدة عن العالم . وعند ذلك يصبح التقسيم  
الموسيقي هو الذي يفرض على الشاعر اماكن الوقوف ، وبدائية  
اللحن من جديد كلما استنفذ طاقته النغمية .

كومة من زجاج

هذه القصيدة عالم وصورة عن العالم . لقد ذكرني الشاعر ،  
الحق ، عبد العظيم ناجي في لوحاته الخمس التي صورها للمدينة  
وللحياة في المدينة ، بصور الفنانين المعاصرين حين يعرضون الحياة  
العاصرة وبؤس الانسان فيها ، وعزلته وهزيمته . بل انه اتبع طريقته  
في انتقاء الالوان الكامدة من رمادية وزرقاء ، ورسم الصور المشوهة  
للمصاييح والاشجار ، ثم تقديم الانسان الهزيل الذي مسخته الحضارة  
وسباق الحياة وجوفت نفسه . كما انه ، مثلهم ، استخدم الطيور  
والجرذان والاطفال رموزا لفساد الحياة والظلم المحيط بالناس والياس  
حتى من المستقبل ..

## قرأت العدد الماضي من الاداب

- تمة المنشور على الصفحة ١٦ -

ان القصيدة تعرض صورة ذاتية عن واقع الحياة كما يراه الشاعر . وهو واقع يفترس الانسان ويفرغ الافكار من مضموناتها والعواطف من انسانيتها . وبالرغم من ان المقاطع مترابطة في مضمونها العميق ، فان المقطع الثاني يشذ بروحه التاملية عن المقاطع الاربعة الباقية التي يبني الشاعر كلا منها على حادثة .

كما ان موسيقى القصيدة تحمل ذلك التسلسل بين الصور ، والاسلوب مطاوع للمشهد الى حد ما ، فهو حين يصور النعر مثلا يسقط حروف العطف من بين الافعال ليجعل الحوادث اقوى وأسرع في تناليها :

وتلملت .. تراجمت .. فقد ..

ان هذه القصيدة ثورة ، لان مجرد تصوير الواقع بهذا الشكل القاسي المدمر ، يدفع الانسان الى التمرد على الشروط التي تشوه حياته وتجوفها .

ان نجاح هذه القصيدة في تصوير الواقع ، وفشل القصيدة السابقة في تصوير عالم مثالي ، يطرح قضية تستحق البحث لمن يتتبعون حركة الفكر العربي : ان هذا الفكر - كما يبدو - استطاع ان يبصر واقعه لكنه عاجز حتى الان عن اختيار طريق المستقبل ورسم صورة واضحة عنه . نجد هذا بينا فسي شعر السياب خاصة ، اذا قارنا صورته الواقعية بالصور الفردية التي تظهر في تخيلات نازك الملايكة عن البيوتوبيا .

غير ان في القصيدة صوراً مقحمة او عاجزة عن ان تحمل المعنى الذي يريد ان يوحي به الشاعر :

غرفني تستقبل الشمس عجزوا سلخت تسعين عام  
نفخت ايامهما لم تحتقب في صدرها الا الاوام  
فلا اظن ان الصور والتعابير في هذين البيتين على مستوى الجودة التي تتجلى في الصور الباقية . كما ان التعبير اجمالا يتصف بطابع السهولة العامة :

فهبط السلم المفصي الى قلب المدينة

وان كان اسلوب السرد القصصي الذي يقرب على القصيدة يجعل هذه السهولة مستساغة في اكثر الاحيان . ولا ادري ان كنت محقا في ان اطالب الشعر بان يملك على الدوام لغته الخاصة !

### طفلة القمر

وهذه القصيدة واقعية ايضا ، بل هي دعوة الى تجاوز الواقع عن طريق مناقشة القيم التي تسوده ، وهي التي جسدتها الامثال الشعبية التي تحض على اكتساب السلامة بالبعد عن السلطة والانزعال عنها : « السلطان من لا يعرف السلطان » و « الصبر مفتاح الفرج » . وغير ذلك من الامثال التي تدفع المواطن الى الانزعال والفرجة . وهو ينمي على قومه ايمانهم بهذه المبادئ الانهزامية التي تجعل من استكانتهم ذلا ومن صمتهم سببا لامعان الظالم في ظلمه والمستبد في استبداده . بينما يستسلم افراد الشعب للخدر والتخاذل . ان الرمز في « طفلة القمر » غير موضح من خلال القصيدة ولعل الشاعر يقصد به الحرية التي تحتاج الى التضحية :

ومهرها هو الدماء  
وصرخة الاباء ..

وان غموض ما يشير به الشاعر يمس شاعريته ويفقده حرارة الدعوة وصلابة الواقع في وقت واحد . ان القصيدة السابقة « كومة من زجاج » مثال على ان الشاعر يجب ان يعرف ما يقول ، قبل ان يسلسل شاعريته على شيء مبهم .

### تذكار عودة

منذ زمان طويل أقرأ للشاعر حسن فتح الباب ولا اجد في شعره ما يمس القلب او يطرف الفكر ، وانني اذ أعجب من مثابته على فرض الشعر ، أتساءل دائما : ماذا يريد ان يعطي ؟

والقصيدة التي بين يدي الان دليل على الرغبة المجردة عن كل هدف، في نظم الشعر . فالملاح « يبجر في زورقه كل نهار » و « يقتحم العاصفة بصدر عار ، الا من نبضات الحب » وهو يصارع الانواء لكنه لا يهوي في القاع . ويعود الملاح كل مساء « مكسور القلب » ومع ذلك فانه يفرح بالسلامة و « يرثي للعشاق » . وفي هذا المقطع يعود الشاعر لذكر مقاومته للانواء دون مبرر فني .

في المقطع الثالث يكرر الشاعر وصف العودة التي تحدث عنها في المقطع الثاني . ويذكر ان الملاح يروي قصة عصفورين « ضللا في العاصفة الهوجاء » .

انني لا ارى مبررا لنظم هذه القصيدة ولا لنشرها لانها فاقدة للشكل والمضمون معا . كما انها مهتزة متخلخلة العناصر ، اذا كان ما رويناها هو العناصر حقا .

### سياط الغربة

هذه قصيدة اخرى تتحدث عن المدينة ، وثقلها على قلب الشاعر .. لكن حديثه لا يشبه في شيء حديث الشاعر الاسكندراني ، فهو ليس حديث تعرية ، ولا حديث تحليل ، بل سرد لانطباعات تصور خوف الفلاح من المدينة ، وخوف الشاب من الحياة وخوف الطالب الفقير من البنت المترفة المنعمة .. والقصيدة بعد كل هذا ليست اكثر من انطباعات فجأة نظمت بشعر فح ولغة فجأة .. انها مذكرات مرة لا تطل على شيء من انسانية ولا من فكر . وقد وقفت طويلا عند تعبيرات فيها أخطاء لغوية :

كيف نبلوه أعاصير الدخان

فأنا أقر بعجزتي عن فهمه ، اذا تجاوزنا عن الضمير وكيف سبق الاسم الذي يعود اليه في قوله :

عرفته ... عجزنا المنهوك عن فنجان قهوة

على فرض ان الشاعر يقلد في الخطأ أسلافه من المعاصرين ، كما في قول القبانى :

مؤقيا .. كسبي الفارغة الجوفاء ان تسلمها

والقصيدة عدا ذلك تسجيل حرفي لما يمر مع شاب جامعي خالي الوفاض والغواد من حوادث : يفاضل فتاة فتشتمه ، يلقي فكاهات فاشلة فلا يضحك منها احد ، يشتهي صداقة فتاة لكنها تولى عنه هاربة من مظهره غير الانيق ، ويمضي بعد ذلك يتسكع حافدا :

مثل طفل لفه الاعصار في قلب المدينة

تركنه امه عمدا وغابت كالخيال

تركنه يملأ الدمع عينونه

حائرا ، والناس عمي لا يرونه

فهل الذنب ذنبي او ذنب القراء اذا كان الشاعر مسحوقا تحت كل هذا الحنين والوحشة ؟ وهل يجوز ان يقيم الدنيا ويقعدها طالب جامعي لم ينجح في افئاع فتاة بان تسير معه او تكون له ؟ وهل هذا سبب كاف لان يواجه الحياة بمثل هذا الخور العاطفي ؟ او يقسول عن المدينة :

قربا قبلة الموسم الثقافي في كتاب :

## الحركة العربية الواحدة

بقلم  
عبد الله الريماوي

تحليل علمي ثوري لواقع العربي والمركة العربية بمنطق وحدة الهدف العربي بين المتناقضات والمصالح والقوى المتصارعة في المركة العربية في مرحلة التحول الثوري العربي .

● يفضح الوجوه والواجهات الجديدة للتحالف الاستعماري الصهيوني الرجعي واحتكارات البترول .

● يشرح الواقع الحزبي في الوطن العربي على صعيد العقيدة والنضال والتنظيم في ضوء النشوء والتكوين والمواقف والمسالك وبالنسبة للقضية والمركة ومهامها .

● يؤكد ان الحركة العربية الواحدة هي الصيغة الايجابية الثورية الوحيدة لوحدة النضال الجماهيري العربي وانتصار الثورة العربية وانها التجسيد العقائدي العلمي الصادق لوحدة الامة العربية وقوميتها

لوحدة الثورة العربية وهدفها

لوحدة العقيدة العربية ومنطقها

هي ميلاد - بالثورة - جديد ، وليست تجميعا بالالتقاء للقديم للقائم .

هي تخط تطلبه وتحدد معالمه الثورة والعقيدة والتجربة والجماهير :

للحزاب والحركات والمنظمات القائمة في وجودها ومقوماتها وفي تعدها وفي منطقها النابع من ذلك الوجود والتعدد .

منشورات دار النشر للجامعيين

هذه الصحراء لن ترحم خصما وسط ساحه

نذرها في ان يلاقي مصرعه

طائر يبقي سموا دون ان يلقي جناحه

ان موهبة هذا الشاعر ظاهرة ، غير انه لا يتقن فن الشعر . ولا ادري اذا كان هذا يعود الى ضحالة افواره الشعرية مما يجعله عاجزا عن تمثل التجربة ، او الى ضحالة ثقافته مما يجعله عاجزا عن بلورة التجربة وتعميق زوايا النظر اليها بدلا عن تسجيلها بهذا الشكل المباشر الذي لا يمتاز عن الحديث العادي الا بالوزن والقافية والصدق . ان القصيدة تلمس اوتار النفس بصدقها وعفويتها ، لكنه الصدق العاطفي وليس الصدق الفني ، لان الاداء في الاصل يعتمد على النجوى مع صديق فاتخذ لهجة الحديث بدل ان يركز على الحالة الشعرية .

النهر

هذه قصيدة مائة اذا صحت الصفة ، فقد استطاع الشعير حسيب الشيخ جعفر ان يعطينا تصورات مجسمة فيها رجرجات الماء وصفاءه البلوري وانعكاسات كمله على صور الاشياء واعادة تشكيلها ، لذلك جاءت الصور سريعة الفرار ملونة بالزرقة والرماد والانعكاسات السريعة الاقول . انها قصيدة وصفية جميلة .

\*\*\*

والان ما هو حصاد الشعور من هذا الشعر ؟ انه حصاد لا غناء فيه . ان الشعر العربي بعد السويس ١٩٥٦ والوحدة في ١٩٥٨ فقد انطلقته الخلافة . . فقد الزخم والعزم ، ولم يعد ينبثق من افوار الامة ولا من حساسيتها ولا من رغبتها في البقاء . وهذا يدل على ان شعرانا ليسوا طليعيين اولاء ، وليس في ذهنهم صورة عن عالم الغد ثانيا ، وانهم - ثالثا - فاقدوا الاتصال بالحياة ، وهذا يدل على انه لا موهبتهم ولا ثقافتهم تؤهلهم لحمل الانقلاب التي تضيفها عليهم الاوساط الثقافية . اذ ان تعيينهم للحوادث تجعل منهم افرادا عاديين ، مع ان المثقف الحق دائب في اعمال فكره وحت شعوره على تجساور الشروط التي يعيش فيها . فاذا ظل خاضعا لها ، مقيدا بها ، دسل بذلك على فشل تجربته الثقافية .

انني لا ارمي الى شن حملة بقدر ما اهدف الى اثاره مشكلة والدعوة الى تكاتف المثقفين على معالجتها . فقد عوتب الدكتور سهيل ادريس مرارا على انخفاض مستوى بعض اعداد مجلته ، فكان رده دائما : ان مستوى (( الادب )) مرتبط بمستوى كتابها . ولكن الا يصح لنا ان نسأل : وبماذا يرتبط مستوى الكتاب ؟ ولكي اكون واضحا ، اود ان اشير الى انني لا اعني بكلمة (( المستوى )) اي مضمون اكايمي ، بل اشير بها الى الطاقة الابداعية التي تجعل انتاج اديب ما ، يتألق بحرارة الايمان وحماسة الاندفاع نحو المصير ، في حين ان الانتاج الحالي في معظمه يجر بعضه رقاب بعض ، وتلي الفكرة سابقته بصعوبة وتكلف ، حتى عند الاسماء التي رسخت في عالم الادب الحديث . وتكون النتيجة ان تأتي القصة او المقطوعة باردة باهتة متكلفة بدرجات متفاوتة ، يشعر القارئ بأنه يملك جلودا ، اكثر مما يشعر انه يتغذى من النص قيما انسانية ، وتفتحا على الحياة ، وحسا ببداية حضارة عربية .

قد يكون لتوالي الاحداث الداخلية والعربية دور في نفوس الابداء ، ولكنه دور هدام ، دور امانة وافقاد ايمان . . فهل نفوس الابداء من الرخاوة الي حد الانصياع للحوادث العابرة واهمال الهدف المصيري ؟

انني اسأل . اسأل وارثقب الجواب .

محيي الدين صبحي

دمشق